# الفصل الثاني

## موقف العُلماء وأَهْلِ الفكرِ في الثَّقافة الإسلامية من آراءِ كعبٍ وخـاصَّةً فيما اتَّصل بالتَّاريخ والقَصَص الدِّيني ـ قديماً وحديثاً ـ

# الفصل الثاني

## موقف العُلماء وأَهْلِ الفكر في الثَّقافة الإسلامية من آراءِ كعبٍ وخاصَّةً فيما اتَّصل بالتَّاريخ والقَصَص الدِّيني
## ـ قديماً وحديثاً ـ

على ما بَلَغَتْـهُ شُهرة كعب الأحبار في عصر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ بسببٍ من إذاعته لنصوص من التوراة الأصلية تتعلق بنُبُوَّة رسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكان لها فِعْلُ السِّحرِ في إطفاء جَذوةِ أهل الأديان السَّابقة في مُجادلاتهم ومجالسهم الثقافية، بل وفي تحويل الكثيرين منهم عن أديانهم السَّابقة إلى الإسلام وآعتناقه، وعلى كَثْرَةِ ما آنْسَرَبَ من معلوماتِه وأخبارِه عن الأنبياء السَّابقين في كتب التفسير وقصص الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وكتب التاريخ؛ فإنَّ بَعضَ ذوي الرأي في الثقافة الإسلامية قد كان لهم تَحَفُّظاتٌ كبيرة على آراء كعب ومعلوماته والأخبار التي رَوَّج لها وبخاصَّةٍ مما لم يكن فيه دَليلٌ من القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية المِعْطار.

فهذا الخليفة عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كان يُراقِب كعب الأحبار في أقواله وأفعاله ولا يُمَرِّر منها إلَّا ما كان مُنسجماً مع مقاصد الإسلام العليا. وهذه أمثلة متفرقة بُرهانٌ على ما نقول:

١ ـ يروي أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في حوادث سنة ست عشرة للهجرة قال: لمَّا شخص عُمَرُ من الجابية إلى إيلياء (القدس)، فدنا من باب المسجد، قال: آرقُبوا لي كعباً... ولم يلبث أن طلع الفَجْرُ، فأمر المؤذِّن بالإقامة، فتقدم فصلَّى بالناس، وقرأ بهم «ص»، وسجد فيها، ثم قام، وقرأ بهم

في الثانية صَدْرَ «بني إسرائيل» ثم ركع ثم آنصرف فقال: عليَّ بكعب، فأُتِي به، فقال: أين ترى أن نجعلى المُصَلَّى؟ فقال: إلى الصخرة. فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخَلْعَكَ نعليك. فقال: أحببتُ أن أُبَاشِره بقَدميَّ.

فقال: قد رأيتُك، بل نجعل قِبْلَتَهُ صَدْرَهُ، كما جعل رسول الله ﷺ قِبْلَةَ مَساجِدِنا صُدورَها. آذهب إليك، فإنَّا لم نؤمر بالصَّخرة، ولكنَّا أُمِرْنا بالكعبة[1].

٢ ـ ما سبق وتقدَّم ذِكْرُه من أن رجلاً تلا عند عمر رضي الله عنه هذه الآية: ﴿**كلما نَضِجَتْ جلودهم بدَّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب**﴾[2] فأراد كعب تفسيرها فقال عمر: هاتها يا كعب، فإن جئت بها كما سَمِعْتُ من رسول الله ﷺ صَدَّقناك، وإلَّا لم ننظر بها[3].

٣ ـ ما سأله عُمَرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه: آلله! إنَّك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟

قال: اللهم لا؛ ولكني أجِدُ صِفَتَك وحلْيَتَك، وأنَّه قد فني أَجَلُكَ.

قال: وعُمَرُ لا يُحِسُّ وَجَعاً ولا أَلَماً[4].

٤ ـ عُمرُ بن الخَطَّاب رضي الله عنه يقول له فيما أَخْرَجَهُ أبو زُرْعَةَ الدِّمشقي في تاريخه ١/٥٤٤: لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القِرَدة[5].

وهذا حُذَيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) بلغه أنَّ كعباً يقول: إنَّ السَّماءَ تدورُ على قُطْبٍ كالرَّحى فقال: كذب كعب، إنَّ الله يقول: ﴿**إنَّ الله يُمسِكُ السَّمواتِ**

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (دار الكتب العلمية) ٢: ٤٥٠.

(٢) سورة النِّساء: ٥٦.

(٣) حلية الأولياء ٥: ٣٧٤ـ٣٧٥.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٥٥٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٠ (الهامش).

والأرض أن تزولا﴾[1][2].

٥ ـ وهـذا الصَّحـابي عوفُ بن مالك[3] أتى على كعب وهو يَقُصُّ، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا يَقُصُّ على النَّاسِ إلَّا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُتكلِّفٌ»؛ فأمسك عن القَصَصِ حتَّى أمره به مُعاوِيَةُ[4].

٦ـ وعـن أبـي الأسـود[5] (الـدُّؤلـي) أنَّ رأس

---

(١) سورة فاطر: ٤١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ص٦٥٠.

وترجمة حذيفة سبقت. انظر الكتاب الأول ص٥٦.

(٣) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغَطَفاني، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حَمَّاد، ويقال: أبو عُمَر.

شهد فتح مَكَّة؛ ثم سكن دمشق.

روى عن النبي ﷺ وعن عبد الله بن سَلام.

روى عنه: أبو مُسلم الخُولاني، وأبو إدريس الخُولاني، وجُبَير بن نفير، وعاصم بن حُميد السَّكوني، وراشد بن سعد، وجماعة.

قال الواقدي: شهد خيبر، ونزل حمص، وبقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان؛ ومات سنة ثلاث وسبعين.

تهذيب التهذيب ٨: ١٦٨.

(٤) الإصابة: ص٦٥٠.

(٥) هو: أبو الأسود الدؤلي. اسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل. . . بن الديل. ويقال: اسمه: عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمرو.

روى عن عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي ذَرٍّ، وابن مسعود، والزُّبير بن العوام، وأُبيِّ بن كعب، وأبي موسى (الأشعري)، وابن عبَّاس، وعمران بن حُصين.

روى عنه ابنه أبو حرب، وعبد الله بن بُريدة، ويحيى بن يعمر، وعمر بن عبد الله مولى عفيرة. =

الجَالوت[1] قال لهم: إنَّ كُلَّ ما تذكرون عن كعب بما يكون أنه يكون إن كان قال لكم إنه مكتوب في التوراة فقد كَذَبَكُم؛ إنَّما التوراة كَكِتابكم، إلَّا أَنَّ كِتابَكُم جامع: يُسَبِّح لله ما في السَّموات وما في الأرض؛ وفي التَّوراة: يُسَبِّح لله الطَّيرُ والشَّجَرُ. وكذا وكذا؛ وإنما الذي يُحَدِّثُ به كعب عما يكون من كتب أنبياء بني إسرائيل وأصحابهم كما تُحَدِّثون أنتم عن نَبِيِّكُم، وعن أصحابه[2].

٧ ـ ولِعَبْد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما مَوقِفانِ من كَعبٍ يَضَعانَ أخبارَه (كعب) عن مبتدأ الخلقِ والأنبياءِ السابقين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في موقعٍ بعيدٍ عن الرَّأي الصَّحيح، والخبر الصَّادق؛ رغم الأقوال الكثيرة عن إيمانه وورعه وتقواه وتعبده وعجائبه.

---

= قال العجلي: كوفي تابعي وهو أول من تكلم في النحو.

قال الواقدي: كان ممن أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقاتل مع علي يوم الجمل.

وكان ابن عبَّاس لمَّا خرج من البصرة استخلف عليها أبا الأسود، فأَقَرَّهُ عَليٌّ.

وقال ابن سعد: في الطبقة الأولى من أهل البصرة، كان شاعراً متشيعاً، وكان ثقة في حديثه إن شاء الله تعالى.

وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، فقال: كان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم وكان من كبار التابعين.

مات سنة ٦٩هـ، وعمره خمس وثمانون سنة.

تهذيب التهذيب ١٢: ١٠ـ١١.

(١) من علماء يهود على عصر الخليفة عبد الملك بن مروان. سأله عبد الملك بن مروان عن كلمة قالها محمد بن الحنفية فقال رأس الجالوت: ما خرجت هذه الكلمة إلَّا من بيت نُبوَّة.

انظر الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ٥: ١١٢ـ١١٣.

(٢) الإصابة: ص٦٥١.

مقاتل[1] عن عِكرمة[2] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال:

بينما هو جالسٌ ذات يومٍ من الأيَّام إذ أتاهُ رجلٌ فقال: يا ابنَ عبَّاس: إني سمعت العجب من كعب الأحبار يذكر في الشمس والقمر.

وكان ابن عبَّاسٍ متَّكئاً فاحتفز ثم قال:

وما ذاك؟

قال: زعم كعب الأحبار أنَّه يُجاءُ بالشمس والقمر يوم القيامةِ كأنهما ثوران عقيران فَيُقذَفانِ في النَّار.

قال ابن عكرمة: فطارت من ابنِ عبَّاسٍ شَظيَّةٌ ووقعت أخرى غضباً ثم قال: كذب كعب الأحبار. قالها ثلاثاً. بل هذه يهودية يُريد إدخالها في الإسلام. والله

---

(١) مُقاتِل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي.

روى عن نافع مولى ابن عمر، والزُّهري، والضَحَّاك، ومجاهد، وابن سيرين، وثابت البناني، وزيد بن أسلم، وعطاء بن أبي رباح، وعطية بن سعد وغيرهم.

روى عنه بقية بن الوليد، وإسماعيل بن عياش، وشَبَّابة بن سوار، وآخرون آخرهم: علي بن الجعد.

أصله من بلخ، قدم مرو وخرج إلى البصرة فمات بها.

اشتهر بالتفسير وكثير من الثقات حدث عنه ومع ضعفه يكتب حديثه.

مات سنة ١٥٠هـ.

تهذيب التهذيب ١٠: ٢٧٩-٢٨٥.

(٢) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي.

روى عن أبيه وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وغيرهم.

روى عنه عبد الله بن عطاء المكي وقتادة وابن إسحاق وحمادة بن سلمة وآخرون.

قال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث.

تهذيب التهذيب ٧: ٢٥٨-٢٥٩.

تعالى أكرم وأجَل من أن يُعَذِّبَ أهل طاعته. ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿**وسَخَّر لكمُ الشَّمس والقَمَر دائِبَين**﴾[1] يعني دَأبهما في طاعته، فكيف يُعَذِّب عبدين أثنى عليهما أنهما دائبان في طاعته؟ قاتل الله هذا الخَبْرَ وقَبَّحَ حديثه ما أجرأه على الله، وأعْظَمَ فِريَتَهُ على هذين العبدين المُطيعين لله تعالى.

ثم آسترجع[2] مراراً، ثم أخذ عوداً من الأرض فجعل ينكت به في الأرض وظل كذلك ما شاءَ الله ثم إنه رفع رأسه ورمى بالعود وقال: ألا أُحَدِّثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبَدْءِ خَلْقِهما، ومَصِير أمْرِهما؟

قُلنا بلى يرحمك الله تعالى.

فقال: إنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن ذلك فقال:

إنَّ الله تعالى لمَّا أتقن خَلْقَه إحكاماً ولم يَبْقَ إلَّا آدم خَلَقَ شمسين من نُور عَرشه فأمَّا ما كان من سابق علم الله تعالى أن يَدَعَها شَمساً فإنَّه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها، وأمَّا ما كان من سابق علم الله أن يطمسها ويحولها قمراً فإنَّه خلقها دون الشمس في العِظَم... فإذا قامت السَّاعة قضى الله تعالى بين أهل الدَّارين، ومَيَّز الفريقين أهل الجنة والنار، وقبل أن يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر... فيقول الله تعالى... إني قد قضيت على نفسي أن أُبدىء وأُعيد. إني أعيدكما إلى ما بدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان: ربَّنا ممَّ خَلَقتنا؟ فيقول: خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه، فيلمع من كل واحد منهما بَرقَةٌ تكاد تخطف الأبصار نوراً، فيختلطان بنور العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿**يُبدىء ويُعيد**﴾[3].

قال عِكرمة: فَقُمْتُ مع النَّفرِ الذين حَدَّثوا عن كعب ما حَدَّثوا به من أمر

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٣.
(٢) قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.
(٣) سورة البروج: ١٣. وتمامها: ﴿إنَّه هو يبدئُ ويعيد﴾.

الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بغَضَبِ ابن عبَّاس وما وجده[1] من حديثه، وبما حَدَّثنا عن رسول الله ﷺ مما بين مبدئهما إلى معادهما.

فقال كعب الأحبار: إنِّي حَدَّثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الأيدي وآبن عبَّاس حديث العهد بالرحمان جَلَّ جَلالُهُ، ناسخ للكتب[2]، وعن سيِّد الأنبياء والمُرْسَلين خَيرِ ٱلبشرِ.

ثم قام فمشى إلى آبن عبَّاس فقال:

بَلَغني ما كان وَجْدِكَ من حَديثي وما حَدَّثت به من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ. ألا وإنِّي أستغفرُ الله من ذلك مع أنِّي لم أتقوَّله من تِلقاء نفسي ولكن حَدَّثْت عن كتاب دارس، فلا أرى ما كان فيه من تبديل الكُفَّار واليهود، وأنت حدَّثت ما حدَّثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب، وعن سَيِّد المُرسلين. وأنا أُحبُّ أن تُحَدِّثني بما حَدَّثْتَ به أَصحابَكَ من حديث الشمس والقمر، فأحفظ عنك الحديث؛ فإذا حَدَّثْتُ بشيءٍ من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديثُ الذي تُحدِّثُني به مكان حديثي الأوَّل.

قال عِكرمةُ: فوالله لقد أعاد عليه آبنُ عَبَّاس الحديثَ وإني لأَستَقْرِئُهُ في قلبي باباً باباً فما زاد شيئاً ولا نقص شيئاً، ولا قَدَّمَ ولا أَخَّر، فزادني ذلك في آبن عبَّاسٍ رَغبةً، وللحديثِ حِفظاً[3].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إذا بَلَغ مَغربَ الشَّمس وجدها تغرُبُ في عينٍ حَمِئَةٍ ووجَد عِندها قوماً قُلنا يا ذَا القَرْنَين إمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وإمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فيهم حُسناً**﴾ [الكهف: ٨٦]؛ عن آبن عبَّاس قال:

---

(١) وجده: أغضبه.

(٢) يقصد القرآن الكريم.

(٣) قصص الأنبياء للثعلبي ص١٥-٢١.

أَقرأنيها أُبيُّ بن كعب[1] كما أَقرأَهُ رسول الله ﷺ «في عَينٍ حَمِئَةٍ».

وقال ابن عبَّاس: كنتُ جالساً عند معاوية[2] إذ قرأ هذه الآية: «وَجَدَها تَغرُبُ في عينٍ حَامية». فقلت: ما نقرؤها إلَّا حَمِئَةً.

فقال معاوية لعبد الله بن عمر[3] كيف تقرؤها؟

قال: أقرؤها كما قرَأْتَها يا أمير المؤمنين.

قال ابن عبَّاس: فأطلت الجدالَ معهما فأرسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له: أين تَجِدُ الشَّمس تغرُبُ في التوراة يا كعب؟

قال: أما العربية فأنتم أعلم بها مني، وأمَّا الشمس فإني أجدها تغرب في ماءٍ وَطِين. وأُنشِدُكَ ما تزداد به تَبَصُّراً وهو قولُ تُبَّعٍ:

قد كان ذُو الـقَـرنـينِ قَبْـلِي مُسلمـاً
مَلِكـاً تَدينُ له الـمُـلـوكُ وتَـسـجُـدُ
بلـغ الـمـشـارق والـمغـارب يبتغي
أَسبـابَ أَمْـرٍ من حَكيـمٍ مُرْشِـدِ
فرأى مغـيب الشمس عنـد غُروبهـا
في عَيـنِ ذي خُلُبٍ وثَـأْطٍ حَرْمَـدِ

فقال مُعاوية: ما الخُلُبُ يا كعب؟

فقال: الطِّين بكلامهم.

قال: فما الثَّأط؟

---

(١) انظر ترجمته في الكتاب الأول ص٣١.

(٢) انظر ترجمته في الكتاب الأول ص٣٥-٣٦.

(٣) انظر ترجمته في هذا الكتاب.

قُلْتُ: الحمأة.

قال: وما الحَرْمَد؟

قلتُ: الأسود.

فدعا رَجُلاً فقال: اكتب ما يقول[1].

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبي: ص٣٢٥-٣٢٦.

والأبيات من البحر الكامل.

وفي لسان العرب لابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) (دار صادر - بيروت، بدون تاريخ) تحت لفظة: خلب.

وفي حديث ابن عَبَّاس، وقد حاجَّه عُمَرُ في قوله تعالى: ﴿تَغْرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ﴾؛ فقال عُمَرُ: حامية.

فأنشد ابن عَبَّاسٍ بيتا تُبَّعٍ:

في عَينِ ذي خُلُبٍ

وفيه:

قال تُبَّعٌ، أو غيرُه.

فرأى مغيبَ الشمس، عند مآبها في عين ذي خُلُبٍ، وثأطٍ حَرمَدِ

وفي لسان العرب مادة ثأط:

الثَّأطة: الحَمْأة. وقيل: الثَّأطُ. والثَّأطَةُ: الطِّين، حَمْأَةً كان أو غيرَ ذلك.

قال أُمَيَّة[1] (بن أبي الصَّلت) =

---

(١) هو: أُميَّة بن أبي الصَّلت. جاهلي. كثير العجائب، يذكر في شعره خَلْقَ السمواتِ والأرضِ، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شامَّ (دنا وقَرُبَ) أهل الكِتاب.

وكان قد طلب الدِّين في الجاهلية هو وورقةُ بن نَوفَل:

محمد بن سَلاَّم الجمحي (ت ٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء.

قرأه وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر (مطبعة المدني - القاهرة، ١٩٧٤م). ١: ٢٦٢-٢٦٧.

وبالمُقابل نجدُ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٠هـ) كثيرَ الاحتفاء بكَعب الأحبار والاستئناس بآرائه وخاصَّة فيما آتَّصل بأخبار الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم وقصصهم. ففي «الإصابة في تمييز الصحابة» أنَّ معاوية امتدح كعب الأحبار قائلاً: ألا إنَّ كعب الأحبار أحد العُلماء، إنْ كان عنده لَعِلْمٌ كالبحار، وإنْ كُنَّا فيه لمُفَرِّطينَ[1].

وفي «الإصابة» أيضاً أنَّ حُميد بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت مُعاويةَ يُحدِّث رهطاً من قريش بالمدينة، وذكر كعباً، فقال: إنْ كانَ لمِن أَصدقِ هؤلاء

---

= بلغ المَشارِق والمَغارِبَ يبتغي
أسباب أمرٍ من حكيم مُرشِدِ
فأتى مَغيبَ الشمس عند مآبها
في عَين ذي خُلُبٍ وثأطٍ حَرْمَدِ

وأورد الأزهري هذا البيت مستشهداً به على الثَّأطة: الحَمْأة، فقال:
وأنشد شمر لتُبَّع؛ وكذلك أورده ابن بُرِّي وقال: إنَّه لتُبَّعٍ يصف ذا القرنين.
قال: والخُلُب: الطِّين بكلامهم.
قال الأزهري: وهذا في شعر تُبَّع المروى عن آبن عَبَّاس.
وفي لسان العرب مادة: حرمد.
الحِرْمِد، بالكسر: الحَمْأة. وقيل: هو الطِّين الأسود.
وقيل: الطين الأسود الشديد السواد.
وقيل: الحِرْمد: الأسود من الحَمْأةِ وغيرها.
وقيل: الحَرْمَد: المتغير الريح واللون.
ابن الأعرابي: يقال لطين البحر: الحَرْمِد.
أبو عبيد: الحَرْمَدة: الحَمْأة. قال تُبَّع:

في عين ذي خُلُبٍ وثأطٍ حَرْمَدِ

وعين مُحَرْمِدة: كثر فيها الحَمْأةُ.

(١) القسم الخامس، ص٦٤٩-٦٥٠.

المحدِّثين عن أهل الكتاب، وإنْ كُنَّا مع ذلك لنبلُو عليه الكَذِبَ.

أخرجه البُخاريُّ. وأوَّلَهُ بعضهم بأنَّ مُرادَه بالكَذِبِ عَدَمُ وُقوعِ ما يُخبِرُ به أنَّه سَيَقَعُ، لا أنَّه هو يَكْذِبُ[1].

وفي «الإصابة» كذلك أنَّ كعب الأحبار أمسك عن القصص حتى أُمِرَهُ به مُعاوية[2].

وها هو معاوية ـ إضافةً إلى ما تقدم من الاستعانة بأقوال كعب الإحبار في معنى «الحمئة» ـ كما تقدَّم في موقف عبد الله بن عباس منه ـ يُشيدُ بكعب الأحبار بعبارات تضع كعباً في الأفق العالي بالقياس إلى أقرانهِ من مُسلِمَةِ أهل الكتاب زمن معاوية. ففي قوله تعالى: ﴿**ألَم تَرَ كيف فَعَل ربُّك بِعاد. إرمَ ذاتِ العماد**﴾[3].

ورد أنَّ عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له ضَلَّت فبينا هو في إحدى الفلوات إذا به في مدينة ذات أسوار. فأخبر مُعاوية بذلك فكثر تَعَجُّب مُعاوية منها. وقال أحد الحاضرين: ما كان لِسُليمان مدينة مِثْلِ هذه، وما يُوجَدُ خَبَرُ هذه المدينة في زماننا هذا إلاَّ عندَ كعب الأحبار. فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يبعث إليه ويأمر بإشخاصه ويُغَيِّبَ عنه هذا الرَّجُلَ في مَوضِعٍ هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبيَّن أَمْرُ هذه المدينة على مِثالِ هذه الصِّفة فإنَّ كعباً سَيُخْبِرُ أميرَ المؤمنين بخبرِها.

فأرسل مُعاوية إلى كعب الأحبارِ.

فلمَّا حضر، قال له: يا أبا إسحاق! إنِّي دعوتك لأمر رجوتُ أنْ يكونَ علمُهُ عِندَكَ.

فقال له: يا أميرَ المؤمنينَ! على الخَبيرِ سَقَطْتَ. سلْ عمَّا بدا لك!

---

(١) ذاته: ص٦٥٠.

(٢) ذاته وذاتها.

(٣) سورة الفجر ٦ـ٧.

فقـال له: أخبرنا يا أبا إسحاق هل بلغك أنَّ في الدنيا مدينةً مبنية بالذَّهب والفضة، وعُمدها من زبرجد وياقوت، وحصى قصورها وغُرفها اللؤلؤ، وأنهارها في الأزِقَّة تجري تحت الأشجار؟

فقال كعب: والذي نفسُ كعب بيده لقد ظَنَنتُ أني سأُسأَلُ قبل أن يسألني أحدٌ عن تلك المدينة وما فيها، ولكن أخبرك بها ـ يا أمير المؤمنين ـ ولمن هي، ومن بناها.

أمَّا تلك المدينة فهي حَقٌّ على ما بَلَغ أمير المؤمنينَ وعلى ما وُصفت له؛ وأمَّا الذي بناها فشَدَّادُ بن عاد، وأمَّا المدينة فهي إرم ذات العِماد التي لم يُخْلَق مِثلُها في البلاد.

فقال له معاوية: يا أبا إسحاق! حَدِّثنا بحديثها يرحَمُكَ الله.

فقال كعب: يا أميرَ المؤمنينَ! إنَّ عاداً كان له آبنان: سَمَّى أحدَهما شديداً، والآخر شدَّاداً...

وإنَّه سيدخلها رَجُلٌ من المسلمين في زمانك هذا ويرى ما فيها فيُحدِّثُ بما عايَنَ ولا يُصَدِّقُ.

فقال له معاوية: يا أبا إسحاق! هل تَصِفُهُ لنا؟

قال: نعم. هو رجلٌ أَحْمَرُ أَشقَرُ قصيرٌ على حاجبه خالٌ، وعلى عُنُقِه خالٌ، يخرج في طلب إبِلٍ له في تلك الصَّحَارى فيقع على إرم ذات العماد، فيدخلها ويحمل مما فيها.

وكان الرَّجُل جالساً عند معاوية. فالتفت كعب فرأى الرَّجُلَ. فقال له: هو ذاك يا أميرَ المؤمنين قد دَخَلَها فآسأَلهُ عمَّا حدَّثت به.

فقال معاوية: يا أبا إسحاقَ! إنَّ هذا من خَدَمي ولم يُفارِقني.

قال: قد دَخَلَها، وإلاَّ سوفَ يَدخُلُها، وسيَدخُلُها أَهلُ هذا الدِّين في آخرِ الزَّمانِ.

فقال مُعاوِيَةُ: يا أبا إسحاق! لقد فَضَّلَك الله على غيرِكَ من العُلماء، ولقد أُعْطِيتَ من عِلم الأَوَّلِينَ والآخرين ما لم يُعْطَهُ أَحدٌ.

فقال: يا أمير المؤمنين. والذي نفس كَعْبٍ بيده ما خَلَقَ الله في الأرض شيئاً إلاَّ وقد فَسَّرَهُ في التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيراً، وإنَّ هذا القرآن أَشدُّ وَعِيداً، وكفى بالله شهيداً ووكيلا[1].

وهذا الخَبَرُ واضحُ الدَّلالة على ما كانه كعبُ الأحبار في قَصرِ معاوية من حيثُ تقديمُه على أَقرانه من مُسلِمَة يهود. وقول معاوية «وإنْ كُنَّا مع ذلك لنَبْلُوَ عليه الكَذِبَ» في آنسجام مع موقف حُذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس من بعض روايات كعب الأحبار التي تَعارَضت مع القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المُطَهَّرةِ؛ سواءٌ ما كان في الماضي أم ما سَيَكونُ.

وقد تنبَّهَ إلى التَّعارض في روايات كعب الأحبار في بعض أخبار الأقدمين وقِصص الأنبياء عليهم السلام مع ما أُثِرَ عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصَّحابة والتابعين رضوان الله عليهم المُطَهَّر بن طاهر المقدسي (ت ٦٣٣هـ) في كتابه «البدء والتاريخ» قال:

«قد بَيَّنا مقالات الأُمَم في حَدَث العالم وقِدَمِه، وقد ذكرنا آراءَهم في المبادىء وكشفنا عن عُوار كُلِّ من خَالَف الحَقَّ، ودَللنا على أنَّ مأْخَذَ هذا العالَمَ لا يصِحُّ إلاَّ من جهة الوحيِ والنُبُوَّة بما لا مزيد عليه في مقدار الشَّريطة التي نَصَبْنا في كتابنا هذا، والله أعلم، والموفق، والمُعين. وقد آختلفت الروايات في هذا الباب عن

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبي: ١٢٦-١٢٩.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ١: ٢١.

ابن عبَّاس ومجاهد وابن إسحاق والضحاك وكعب ووهب وابن سَلام، والسُّندي، والكلبي، ومقاتل، وغيرهم ممن يَتَحَرَّى هذا العِلْمَ وينحو نَحوَهُ. فلْنَذْكُر الأَصحَّ من رواياتهم، والأقسط للحق، والأشبهَ بالصَّواب، ونسوق ما يحكيه أهل الكتاب ولا يكذبهم إلَّا فيما يتيقَّنه من وِفاق كتابنا أو خبر نَبيِّنا ﷺ»[1].

كمـا تنبَّه إلى التَّعارض في روايات كعب الأحبار في بعض أخبار الأقدمين وقِصص الأنبياء عليهم السلام مع ما أُثر عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصَّحابة والتابعين رضوان الله عليهم عبدُ الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ). ورأْيُ ابن خلدون كبير الأهمية لأنَّـه يَحُـلُّ وُجُوه التَّضارب التي تتصل بموقف الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم من كعب الأحبار فيما يُظَنُّ أنه (أي التضارب) كبير عريض. ثُمَّ إنَّ رأْيَ ابن خلدون كبير الأهمية بحكم آطِّلاعِه على قصة استقدام معاوية له في خبر عبد الله بن قلابة فيما آتَّصل بإرم ذات العماد، وثنائه (معاوية) العريض على عِلْمِه وَعُلوُّه على أهل طبقته من مسلمي أهل الكتاب[2].

يقول آبنُ خَلدونٍ:

«. . . وأَمَّا في الدَّولة الإسلامية فوقع منه كثير فيما يَرجِعُ إلى بَقاء الدنيا ومُدَّتها على العُموم، وفيما يَرجعُ إلى الدَّولة وأعمارها على الخصوص. وكان المعتمدَ في ذلك في صدر الإسلام آثارٌ منقولة عن الصَّحابة، وخُصُوصاً مُسلِمَةَ بني إسرائيل، مِثْلَ كعب الأحبار، ووهب بن مُنَبِّه، وأَمثالِهما. وربَّما آقتَبسوا بعض ذلك من ظَواهرِ مأثورةٍ، وتأويلاتٍ مُحتمَلَةٍ»[3].

ويضيف ابن خَلْدونٍ في التعليق على هذا الأمر في سياق لاحقٍ قوله:

«والسَّبب في ذلـك أنَّ العربَ لم يكونوا أَهْلَ كِتابٍ ولا عِلْمٍ، وإنَّما غلبت

---

(١) البدء والتاريخ ٢: ١-٢.

(٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ١: ٢١.

(٣) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ١: ٥٨٠.

عليهم البداوة والأُمِيَّة. فإذا تَشوَّقُوا إلى مَعْرفةِ شيءٍ ممَّا تتشوَّقُ إليه النفوس البشرية في أسباب المُكَوِّنات، وبدءِ الخَليقة، وأسرار الوجود، فإنَّما يسألون عنه أهلَ الكِتابِ قَبلَهُم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، ومن تَبِع دينهم من النَّصارى. وأهلُ التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلَّا ما تعرفه العَامَّة من أهل الكتاب، ومُعظَمُهم من حِمْيَرَ الذين أخذوا بدين اليهودية. فلمَّا أسلموا بقُوا على ما كان عندهم، مما لا تَعَلُّقَ له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بَدْءِ الخليقة، وما يَرجِعُ إلى الحِدْثانِ[1] والملاحم وأمثال ذلك.

وهؤلاء مثْلُ كعب الأحبار، ووهب بن مُنَبِّه، وعبد الله بن سَلام، وأمثالِهم. فامتلأت التفاسيرُ من المنقولات عندهم، وفي أمثال هذه الأغراض، أخباراً[2] موقوفة عليهم، وليست مما يُرجَعُ إلى الأحكام فيُتَحَرَّى في الصِّحَّة التي يَجِبُ بها العملُ»[3].

ويضيف ابن خلدون قوله:

«وتساهَلَ المُفَسِّرون في ذلك، وملأُوا كُتُبَ التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التَّوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيقَ عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلَّا أنَّهم بَعُد صيتُهم، وعَظُمَت أقدارُهم، لِما كانوا عليه من المقامات في الدِّين والمِلَّة؛ فتُلِقِّيَتْ بالقَبول من يومئذٍ»[4].

---

(١) حِدْثان الأمر: أوَّلُه وابتداؤه.
المعجم الوسيط/ معجم مجمع اللغة العربية. مادَّة: حَدَثَ.

(٢) على اعتبار هذه اللفظة تمييزاً منصوباً.

(٣) كتاب العبر ١: ٧٨٦-٧٨٧.

(٤) كتاب العبر ١: ٧٨٦-٧٨٧.

إنَّ هذا التحليل لموقع كعب الأحبار من المكتبة العربية يَحُلُّ كُلَّ وُجُوهِ التَّناقض، ويجيبُ عن جميع الأسئلة المتصلة بالأمر. فكثيرون من أهلِ التراجم وثَّقُوهُ[1] من حيث تَدَيُّنُه ووَرَعُه، وأنَّه العَبْدُ الصَّالح[2]؛ وأنَّه أَحَدُ الأَولياء وفي طبقات الأصفياءِ[3].

أمَّا فيما آتَّصلَ بالأحكام الشَّرعية ممَّا يَتَّصِلُ بالتَحَوُّط ـ كما أشار إليه آبن خلدون ـ فلم يُوردوا له إلاَّ ما كان من خَبَرٍ عارضٍ أو روايةٍ داخلت روايةً أُخرى على سبيل الاحتراس أو الاستطراد أو التَّنبيه على أَمْرٍ له علاقة بالشريعة الإسلامية.

فلم يُخَرِّج له الإمام البُخاري (ت ٢٥٦هـ). وجرى ذِكرُ آسْمه عَرَضاً في سياق التحوُّط. ففي الاعتصام بالكتاب والسُّنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ»:

عن الزُّهري[4]: أَخبرني حُمَيد بن عبد الرحمن[5]: «سُمِعَ مُعاوِيَةَ يُحدِّثُ رهطاً

---

(١) في «تهذيب الأسماء واللغات» ٢: ٦٨-٦٩.

«وآتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه»

وفيه ٢: ٦٩ «ومناقبه وأحواله وحكمه كثيرة مشهورة».

وفي «شذرات الذهب» ١: ٤٠.

سنة ٣٥هـ. فيها توفي عالم الكتاب به وبالآثار كعب الأحبار.

(٢) في «الإصابة» القسم الخامس، ص٦٤٩.

«رُوينا ما في المجالسة بسَنَدٍ حَسَنٍ، عن عبد الله بن غيلان، حدثني العبد الصالح كعب الأحبار».

(٣) كما في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني له في: حلية الأولياء ٥: ٣٦٤ وما بعدها. ٦: ١ وما بعدها.

(٤) هو: محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري. (ت ١٢٤هـ).

(٥) حُميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو إبراهيم، ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عثمان المدني. =

من قُريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: ـ إنْ كان من أَصدَقِ هؤلاء المُحدِّثين عن أهل الكِتابِ، وإنْ كُنَّا لنَبْلُو عليه الكَذِبَ»[1].

والسِّياق ههنا يدُلُّ على أنَّه إذا كان أَصدَقُ هؤلاء المُحدِّثين لا يخلو من مُخالفاتٍ مَقصودةٍ أو غير مقصودة، فإنَّ طَريقَ سُؤال أهل الكتاب عن أُمور علمية أو معرفية طريق محفوف بالمخاطر والعثار والوقوع في الوهم إنْ لم يكن في الكراهية التي نهى عنها نبي الإسلام ﷺ. يَعْضُدُ هذا الاستنتاج ترتيبُ هذا الباب، وبِناءُ مداميكه من الأحاديث النبوية الشريفة. فيأتي تِلْوَ هذا القول لِحُمَيد بن عبد الرحمن عن مُعاوية الحديث (٦٩٢٨):

عن أبي هُريرة قال: كان أَهل الكتاب يقرؤون التوراةَ بالعبرانيَّةِ، ويُفَسِّرونها بالعَرَبيَّة لأَهل الإسلام. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تُصَدِّقوا أَهْلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا ﴿آمَنَّا بالله وما أُنْزِلَ إلينا وما أُنزِلَ إليكم﴾[2]»[3].

ثم يأتي الحَديثُ:

أَخبرنا ابن شهاب[4]، عن عُبيد الله بن عبد الله[5]: أَنَّ آبنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:

---

= روى عن أبيه وأُمِّه أم كلثوم، وعمر، وعثمان، وسعيد بن زيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، والنعمان بن بشير، ومعاوية، وأم سلمة، وغيرهم.

روى عنه ابن أخيه سعد بن إبراهيم، وابنه عبد الرحمن، وابن أبي مُليكة، والزهري، وقتادة، وغيرهم.

كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ٩٥هـ وهو ابن ٧٣ سنة.

تهذيب التهذيب ٣: ٤٥-٤٦.

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٩.

(٢) بعض سياق الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

(٣) صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٩.

(٤) ابن شهاب الزهري.

(٥) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله المدني. =

«كيفَ تَسألون أهلَ الكِتاب عن شَيءٍ، وكِتابُكُم الذي أُنْزِلَ على رسولِ الله ﷺ أَحْدَثُ، تقرؤونَهُ مَحْضاً لم يُشَبْ(١)، وقد حَدَّثكم أَنَّ أَهل الكِتاب بَدَّلوا كِتابَ الله وغيَّروهُ، وكتبوا بأيديهم الكِتابَ، وقالوا: هُوَ من عِند الله ليشتروا به ثَمناً قليلاً؟ أَلا يَنهاكُمْ ما جاءكُمْ من العِلْمِ عن مَسْأَلَتِهم؟ لا واللهِ، ما رأينا رَجُلاً يَسأَلُكُمْ عن الذي أُنْزِلَ عليكم»(٢).

---

= روى عن أبيه، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وعمر، وعن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عُمر، وعثمان بن حنيف، وسهل بن حنيف، والنعمان بن بشير، وأبي سعيد الخُدري، وأبي طلحة الأنصاري.

روى عنه: أخوه عون، والزُّهري، وسعد بن إبراهيم، وأبو الزِّناد، وصالح بن كيسان، وغيرهم.

كان مُقدّماً في العلم والمعرفة بالأحكام والحلال والحرام وكان شاعراً مُجيداً.

قال ابن عبد البَرِّ: كان أَحَدَ الفقهاء العَشَرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى، وكان عالماً فاضلاً مُقدَّماً في الفقه، تقياً، شاعراً، محسناً، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا ـ فيما علمت ـ فقيه أشعرَ منه، ولا شاعر أفقه منه.

قال البخاري: مات سنة أربع أو خمس وتسعين.

تهذيب التهذيب ٧: ٢٣ـ٢٤.

(١) الشَّوْبُ: ما آختلط بغيره من الأشياء. يقال: سقاه الذَّوبَ بالشَّوب: العسل بما يُشاب به من ماء أو لبن.

المعجم الوسيط: شوب.

والمَحْض: كُلُّ شيءٍ خَلَصَ حتى لا يشوبه شيءٌ يخالطه.

ولَبَنٌ مَحْضٌ: خالص لم يخالطه ماءٌ حُلْواً كان أو حامضاً.

المعجم الوسيط: محض.

وواضح أنَّ المقصود: من غير تَدَخُّل في النص أو حذف فيه أو نقص منه ـ كما فُعل بالكتب الدينية السَّابقة حيث يختلط قول الله تعالى بقول موسى عليه السلام بقول الراوي ثم بأقوال المُعَلِّقين والشَّارحين.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٢٦٧٩ـ٢٦٨٠. =

ويُعَلِّق ابن حَجَر العَسقَلاني (ت ٨٥٢هـ) على ذِكْر اسم كعب في السِّياق السَّابق بالقول:

«هذا جميع ما له في البُخاري، وليست هذه برواية عنه».

ويضيف قوله:

«فالعجب من المُؤَلِّف كيف يُرَقِّمُ له رَقَّم البُخاريُّ فيوهم أنَّ البخاري أخرج له وكذا رَقَّم في الرواة عنه على معاوية بن أبي سفيان، رقم البخاري مُعتمداً على هذه القِصَّة، وفي ذلك نَظَرٌ»[1].

وفي صحيح مُسلم (ت ٢٦١هـ) وَرَدَ ذِكْرُ كَعْبٍ عَرَضاً في الموضع الآتي:

في كتاب الأَيمان (رقم الحديث ١٦٦٦):

حدثنا أبو بكر بن أبي شَيبةَ وأبو كُرَيْبٍ. قالا: حَدَّثنا أبو معاوية عن الأَعمش، عن أَبي صالحٍ، عن أبي هُريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَدَّى العَبْدُ حَقَّ الله وحَقَّ مواليه، كان له أَجْرانِ».

---

= الحديث رقم ٦٩٢٩ باب ٢٥ من «الاعتصام بالكتاب والسنة».

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٤٣٩.

وواضح أنَّ المقصود بالمؤلِّف ههنا أحد الذين ألفوا في رجال البخاري أو طبقات رواة البخاري.

وليس المؤلِّف قطعاً النووي صاحب «تهذيب الأسماء واللغات» إذ ليس شيء من ذلك في روايته.

وقد تنبه محققا كتاب «سير أعلام النبلاء»: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي فقالا: «وأخطأ من زعم أنَّه خرَّج له البخاري ومسلم، فإنهما لم يُسندا من طريقة شيئاً من الحديث، وإنما جرى ذكره في الصَّحيحين عَرَضاً.

سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٠.

قال: فَحَدَّثتها كعباً. فقال كَعْبٌ: ليس عليه حِسابٌ. ولا وعلى كل مُؤمنٍ مُزْهِدٍ.

وحَدَّثنيه زُهيرُ بن حَرْبٍ. حَدَّثنا جَرِيرٌ عن الأعمش، بهذا الإسناد[1].

وقال شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): وقع له (كعب الأحبار) رواية في سنن أبي داود، والترمذي، والنَّسائي[2].

(ووقعت لكعب الأحبار رواية في موطأ الإمام مالك بن أنس، ط٦(دار النفائس - بيروت، ١٩٨٢م) ص٦٥٧ رقم الحديث ١٦٦٠)).

ووقعت لكعب روايةٌ مساندة لرواية في الحديث النبوي الشريف في تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحَسَن بن عساكر (ت ٥٧١هـ).

ففي ترجمة عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر:

قال رسول الله ﷺ: «درهم رِباً أَشَدُّ من ثلاث وثلاثين زنيةً في الخطيئة».

قال البَغَوي: حَدَّثنيه جَدِّي، نا أبو أحمد الزُّبيري، نا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن آبن أبي مُلَيكَة، عن عبد الله بن حَنظلة عن كعب، قال:

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٢٨٥ [كتاب الأيمان، الباب ١١، حديث ٤٥].

وانظر: تهذيب التهذيب ٩: ٤٣٩-٤٤٠.

والمُزهد: قليل المال (صحيح مسلم: الهامش).

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٠.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ):

سُنن أبي داود (دار إحياء السنة النبوية. بدون مكان النشر وتاريخه).

أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م).

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

«درهم رباً . . . » وذكر الحديث[1].

وفي موضعٍ ثانٍ:

أخبرنا أبو القاسم بن الحُصين، نا أبو علي بن المُذْهِب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، نا وكيع، نا سفيان عن عبد العزيز بن رُفيع عن ابن أبي مُلَيكة، عن حنظلة بن راهب عن كعب قال:

«لأن أزني ثلاثاً وثلاثين زنيةً أحَبُّ إليَّ من أن آكل دِرهم رِباً يعلم الله أني أَطْلُبُه حين أَكَلْتُهُ»[2].

ويحتدم النقاش في الأوساط الثقافية الإسلامية ـ قديماً وحديثاً ـ حول مسؤولية كعب الأحبار عن الترويج لمقولة أنَّ الذبيح في سورة الصَّافَّات هو إسحاق. ففي رواية أنَّ أبا هُريرة وكعب الأحبار اجتمعا فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يُحدِّث عن النبي ﷺ وجعل كعب يُحَدِّث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إنَّ لكل نبي دعوة مستجابة وإني قد خبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». فقال له كعب: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

قال: فداك أبي وأمي ـ أو فداه أبي وأُمِّي. أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصَّلاة والسلام؟ إنَّه لمَّا رأى ذبح ابنه إسحاق. . .[3].

وما من قِصَّة يَسْرُدها كعب الأحبار ولها علاقة بإسحاق إلاَّ وقال: إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله[4].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ص٢٠١.

(٢) ذاته وذاتها.

(٣) أبـو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم (دار المعرفة ـ بيروت، ١٩٦٩م) ٤: ١٥ـ١٦.

والرواية في قصص الأنبياء للثعلبي ص٨٣.

(٤) انظر: الثعلبي ص١١٨، ١٢١.

وقيل إنَّ عمر بن عبد الرحمن الخطابي روى بإسناده عن الصَّباحِي قال:

كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح إسماعيل أو إسحاق. فقال: على الخبير سقطتم. كُنتُ عند رسول الله ﷺ فجاءَه رجُلٌ فقال: -يا رسول الله أَعد عَليَّ ما أفاءَ الله عليك يا ابن الذَّبيحين. فضحك رَسولُ الله ﷺ.

فقيل: يا أمير المؤمنين! وَمَن الذبيحان؟

فقال: إنَّ عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولديه. قال: فخرج السهم على عبد الله. فمنعه أخواله وقالوا له: آفد ولدك بمائة من الإبل. ففداه بمائة من الإبل. والثاني: إسماعيل[1].

ويُلَخِّص كاتبُ هذا البحث الموضوع كمثل ما لَخَّصه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ثم يُتْبِعُهُ بأقوال العلماء والباحثين.

يقول ابن خلدون: واختلف في ذلك الذبيح من ولديه (إبراهيم) فقيل: إسماعيل. وقيل: إسحاق. وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصَّحابة والتَّابعين.

فالقول بإسماعيل لابن عباس وابن عمر والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القُرظي.

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبي ص٨١.

والرواية عن عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان...

والرواية نقلاً عن الطبري.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٨.

أبو الفداء بن كثير: قصص الأنبياء. ت. سعيد اللحام (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت، ١٩٨٨م). ص١٦٨.

وقد يحتجون له بقوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين».

ولا تقوى الحُجَّة به لأنَّ عَمَّ الرَّجُل قد يُجعَلُ أباه بضرب من التجوز، لا سيما في مثل هذا الفخر.

ويحتجون أيضاً بقوله تعالى: ﴿**فبشرناها بإسحٰق، ومن وراء إسحٰق يعقوب**﴾. ولو كان ذبيحاً في زمن الصِّبا لم تصح البشارة بآبن يكون له، لأنَّ الذَّبح في الصِّبا ينافي وجود الولد.

ولا تقوم من ذلك حُجَّة، لأن البشارة إنما وقعت على وفق العلم بأنه لا يُذْبَح، وإنما كان آبتداء لإبراهيم.

والقول بإسحاق: للعباس وعمر وعلي وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعِكْرِمة وسعيد بن جُبير وعطاء والزُّهري ومكحول والسدِّي وقتادة.

وقال الطبري: والراجح أنه إسحاق، لأنَّ نَصَّ القرآن يقتضي أنَّ الذبيح هو المُبَشَّر به، ولم يُبَشَّرْ إبراهيم بولد إلَّا من زوجته سارة، مع أنَّ البشارة وقعت إجابة لدعائه عند مُهاجَرِه من أرض بابل، وقوله: ﴿**إني ذاهب إلى ربِّي سيهدين**﴾ ثم قال عَقِبَهُ ﴿**رَبِّ هَبْ لي من الصَّالحين**﴾ ثم قال عَقِبَهُ ﴿**فبَشَّرناه بغُلامٍ حَليم**﴾. وذلك كُلُّه كان قبل هَاجَرَ، لأنَّ هاجرَ إنما ملكتها سارة بمصر، وملَّكتها لإبراهيم بعد ذلك بعشر سنين. فالمُبَشَّر به قبل ذلك كله إنما هو آبن سارة، فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة. وبشارة الملائكة لسارة بعد ذلك، حين كانوا ضيوفاً عند إبراهيم في مسيرهم لإهلال سدوم إنما كان تجديداً للبشارة المتقدمة[1].

---

(١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢: ٦٩.

وإيراد الخبر نقلاً عن الطبري من غير ما تعليق يدل على قبوله.

انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٢٣: ٤٨-٤٩.

وقد آستعرض أبو الفداء بن كثير (ت ٧٧٤هـ) الأقوال التي قيلت في إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وتعجب منْ آختيار ابن جرير (الطبري) في ذلك قائلاً: وهذا عجب منه»[1].

وفي تفسير الآيات من سورة الصَّافَّات:

﴿وقال إنِّي ذاهب إلى ربِّي سيَهدين. رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصَّالحين. فبَشَّرناه بغُلامٍ حَليم. فلما بلغ معه السَّعي قالَ يا بُنَيَّ إنِّي أرى في المَنامِ أنِّي أذبَحُكَ فآنظُر ماذا ترى؟ قال: يا أبتِ آفْعَلْ ما تُؤمَر، ستَجِدُني إن شاءَ الله من الصَّابرين. فلَمَّا أسلَما وتَلَّه للجَبينِ. وناديناه أنْ يا إبراهيمُ. قد صَدَّقْتَ الرُّؤيا؛ إنَّا كذلك نجزي المُحْسنين. إنَّ هذا لهو البَلاءُ المُبينُ. وفَدَيناهُ بِذِبْحٍ عظيم. وتركنا عليه في الآخرين. سَلامٌ على إبراهيمَ. كذلك نجزي المُحسنين. إنَّه مِنْ عِبادنا المؤمنين. وبَشَّرناه بإسحٰق نبيّاً من الصَّالحين. وباركنا عليه وعلى إسحٰق؛ ومن ذُرِّيَّتِهما مُحْسِنٌ وظالمٌ لنفسه مُبينٌ﴾ [الآيات ٩٩-١١٣].

يقول أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي:

«وهـذا الغـلام هو إسمـاعيل عليه السلام فإنَّه أوَّلُ وَلَدٍ بُشِّر به إبراهيم عليه السلام. وهو أكبر من إسحٰق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب. بل في نَصِّ كتابهم أنَّ إسمـاعيل عليه السـلام ولـد لإبـراهيم عليه السلام وله ست وثمانون سنة، وولد إسحٰق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسَّلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أنَّ الله تبارك وتعالى أمـر أن يذبـح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى: بكره. فأقحموا ههُنا كذباً وبهتاناً إسحٰق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنَصِّ كتابهم. وإنما أقحموا إسحٰق لأنه أبوهم

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص١٦٨؛ وانظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): جامع البيان في تفسير القرآن ط٤ (دار المعرفة - بيروت، ١٩٨٠م) ٢٣: ٤٨-٤٩، وفيه عن قتادة وعكرمة: أن الذبيح إسحٰق.

وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم، فزادوا ذلك، وحرَّفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمِّه إلى مكة. وهو تأويل وتحريف باطل؛ فإنَّه لا يقال «وحيدك» إلَّا لمن ليس له غيره. وأيضاً فإنَّ أوَّل[1] ولد له بِعِزَّةٍ ما ليس لمن بعده من الأولاد؛ فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار».

ويضيف أبو الفداء بن كثير قولَه:

«وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنَّ الذبيح هو إسحٰق، وحُكي ذلك عن طائفة من السَّلف حتى نُقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً. وليس ذلك في كتاب ولا سُنَّة. وما أَظُنُّ ذلك تُلُقِّي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسَلَّماً من غير حُجَّة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنَّه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح»[2].

وبعد مُناقشة مستفيضة للأخبار والروايات الواردة في كتب التاريخ والتفسير يقول:

«وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم[3] حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يُفهم هذا من القرآن؛ بل المفهوم، بل المنطوق، بل النَصُّ عند المُتَأَمِّل على أنَّه إسماعيل. وما أحسن ما استدل به ابن كعب القُرَظي على أنه إسماعيل وليس بإسحٰق من قوله: ﴿**فبشرناها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب**﴾ [هود: ٧١] قال: فكيف تقع البشارة بإسحٰق وأنَّه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحٰق وهو صغير قبل أن يولدَ له؟ هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة. والله أعلم»[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٤.

(٣) يقصد رسول الله ﷺ.

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ص١٦٧.

ويضيف ابن كثير قوله:

«وقد اعترض السُّهيليُّ[1] على هذا الاستدلال بما حاصله أنَّ قوله: ﴿فبشرناها بإسحٰق﴾ جملة تامَّة، وقوله: ﴿ومن وراء إسحٰق يعقوبَ﴾ جملة أخرى ليست في حَيِّز البشارة. قال: لأنه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً، إلَّا أن يُعادَ معه حَرْفُ الجَرِّ، فلا يجوز أن يقال: مررت بزيد ومن بعده عمرو؛ حتى يقال: من بعده بعمرو. وقال: فقوله: ﴿ومن وَراءِ إسحٰق يعقوبَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: ووهبنا لإسحٰق يعقوب».

ويُعلِّقُ أبو الفداء على ذلك بقوله: «وفي هذا الذي قاله نَظَرٌ».

ويورد أبو الفداء قول السهيلي بأنَّه (السهيلي) رَجَّحَ أنَّ الذبيح إسحٰق، وآحتج بقوله: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال: وإسماعيل لم يكن عنده، إنما كان في حال صغره هو وأُمُّه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السَّعيَ.

ويُعَلِّق أبو الفداء على ذلك أيضاً بقوله: «وهذا أيضاً فيه نَظَرٌ»[2].

وعَقَّب على ذلك كُلِّه أبو الفداء بالقول: «وقد قال بأنه إسحٰق طائفة كثيرة من

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله، أبو الحسن السُّهيلي الأندلسي المالقي. ولد بالأندلس سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٨١هـ.

أشهر مؤلفاته كتابه: «الرَّوض الأُنُفُ».

انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ).

السيرة النبوية. ت. مصطفى السَّقا وزميليه (دار الكنوز الأدبية ـ بيروت، بدون تاريخ) ١: ١٨ـ٢٠.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص١٦٧. هذا وسيكون لكاتب هذا البحث بحث مستقل في التذوق الجمالي للآيات التي تدور حول هذه الحادثة إن شاء الله تعالى.

السَّلف، وغيرهم. وإنما أخذوه ـ والله أعلم ـ من كعب الأحبار، أو من صحف أهل الكتاب»[1].

وفي تفسير أبي الفداء يُعَلِّق (أبو الفداء) بعد سِياقٍ من القول:

«وهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ كلُّها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنَّه لمَّا أسلمَ في الدولة العمرية جعل يُحَدِّث عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ عن كتبه قديماً فربما أستمع له عمر ـ رضي الله عنه ـ فتَرَخَّص النَّاسُ في أستماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه غَثَّها وسمينها، وليس لهذه الأُمَّة ـ والله أعلم ـ حاجَةٌ إلى حَرْفٍ واحد مما عنده»[2].

وفي العصر الحديث نجد طائفة من العلماء في الثقافة الإسلامية يحملون النكير واللائمة على كعب الأحبار. ففي كتاب «الكامل في التاريخ» لأبي الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ (ط. دار الكتاب العربي) تعليقات في الهوامش على نصوص ابن الأثير. ومع أنَّ ابن الأثير قد ساق عقب رواية كعب الأحبار في حواره مع أبي هُريرة رضي الله عنه مثل هذا الحوار:ـ

«روى سعيد بن جبير، ويوسف بن مهران، والشَّعبي، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، كلهم عن ابن عَبَّاس أنَّه قال: الذبيح إسماعيل؛ وقال: زعمت اليهود أنه إسحٰق وكذبت اليهود.

قال محمد بن كعب القرظي: إنَّ الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من آبنيه إسماعيل، وإنَّا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم، وما أمر به من ذبحه آبنه أنه إسماعيل، وذلك أنه تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: ﴿**وبشرناه بإسحٰق نبياً من الصالحين**﴾ ويقول: ﴿**فبشرناها**[3] **بإسحٰق**

---

(١) ذاته وذاتها.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٧.

(٣) في الكامل في التاريخ ١: ٦٣ «وبشرناه» وهو خطأ مطبعي يُرجى تصويبه في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى.

ومن وراء إسحٰق يعقوب﴾ [هود: ٧١] بابن وآبن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحٰق وله فيه من الله عز وجَلَّ ما وعده. وما الذي أمر بذبحه إلاَّ إسماعيل. فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز ـ وهو خليفة ـ؛ فقال: إنَّ هذا لشيءٌ ما كُنتُ أنظر فيه، وإني لأراه كما قُلت»[1].

إلاَّ أنَّ قلم التحقيق (نخبة من العلماء) أضاف: «قاتل الله كعباً وجد قلوباً صافية فأفسدها بدسائسه واختلافاته التي ورثها عن أسلافه، فرووا عنه ما يخالف متن القرآن»[2].

وجاء في تعليقات التحقيق:

«في إنجيل برنابا من الحَواريين أنَّ الذبيح هو إسماعيل، وأن اليهود غَيَّروا اسم الذبيح وجعلوه إسحٰق، وأنَّ المسيح كان يوبخهم على ذلك.

ففي الفصل الرابع والأربعين آية ١٠: فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة.

فكيف يكون إسحٰق البكر وهو لمَّا ولد كان إسماعيلُ ابنَ سبع سنين؟»[3].

وفي موضع آخر:

«ولولا أنَّ اليهود حَرَّفت وغَيَّرت لوجدنا فيها صراحة ذكر إسماعيل ذبيحاً. ولكن مع هذا التغيير فإنه لا يزال فيها ما يدلُّ على أنَّ إسماعيل هو الذبيح كما في التكوين إصحاح ٢٢، آية ١٢: «لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تُمْسك آبنكَ وحيدَك عني».

---

(١) ذاته ١: ٦٢-٦٤.
(٢) ذاته ١: ٦٢ (الهامش).
(٣) الكامل في التاريخ ١: ٦٢ (الهامش).

The Gospel of Baranabas (London and Laura Ragg), chap. 44.

لأنَّ إسحٰق لم يكن في يوم من الأيام وحيد إبراهيم ولكن إسماعيل هو الذي كان وحيداً قبل ولادة إسحٰق»[1].

وفي العصر الحاضر أيضاً نجد المرحوم الأستاذ محمد خليفة التونسي يُقَدِّم لكتاب «الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون» بِمُقَدِّمة ضافية جاء فيها:

«اليهـودي يهودي قبل كل شيء، مهما تكن جنسيته ومهما يعتنق من عقائد ومبادىء في الظاهر ليخدم باعتناقها نفسه وأُمّته. فهو يتجنَّس بالجنسية الإنجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية ويؤيد جنسيَّته طالما كان ذلك في مصلحة اليهودية، فإذا تعارضت المصلحتان لم يكن إلا يهودياً، فعضد يهوديته وضحّى بجنسيته الأخرى. واليهودي يسلم أو يتنصر نفاقاً ليفسد الإسلام والمسيحية، أو يوجه تعاليم هذا الدِّين الجديد وتقاليده وجهة تعود بالخير على اليهود».

ويضيف الأستاذ محمد خليفة التونسي قوله:

«وتاريخهم مع الإسلام هو تاريخهم مع كل دين ومذهب: حاربوه في البَدء ظاهراً أعنف حرب، حتى إذا فشلوا آرتدوا يسالمونه سلاماً كان شَرّاً عليه من حربه الظاهر. وأسلم منهم في عهد الخلفاء الراشدين وبعده كثير. فكعب الأحبار مثلاً يفسر القرآن ويروي الأخبار، ويملأ ذلك بما يسمى عندنا «الإسرائيليات». ثم يسير كثير من اليهـود بعـده سيرَتـه، حتى إنَّ تخليص الكتب الإسـلامية الجليلة من

---

(١) الكامل في التاريخ ١: ٦٤ (الهامش)

وانظر: التوراة العزرية (جمعيات الكتاب المقدس المتحدة).

سفر التكوين إصحاح ٢٢: آية ١٢.

وفي الآية الثانية من الإصحاح ذاته: «خذ ابنك وحيدك الذي تُحِبُّه إسحٰق».

وفي الآية ١٧ من الإصحاح ذاته «إني من أجل أنَّك فعلت هذا الأمر ولم تُمسك آبنَكَ وحيدَك أُبارِكُك مُبارَكة»

وواضح من السِّياق أنَّ لفظة «إسحٰق» وضعت آعتباطاً لأن الابن الوحيد هو في الحقيقة =

الإسرائيليات لتنوءُ به كواهِلُ عشرات الجماعات من أولي العزم»[1].

وكاتِبُ هذا البحث يرى ما سبق وأن رآه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) بأنَّ أخبار كعب الأحبار ووهب بن مُنَبِّه وغيرهما من مُسلمة اليهود «مما لا تَعَلُّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون (المسلمون) لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يَرْجِعُ إلى الحِدْثانِ والملاحم وأمثال ذلك. . . وليست مما يُرْجَعُ إلى الأحكام فَيُتَحَرَّى في الصحَّة التي يجب بها العملُ»[2].

وكاتب هذا البحث يرى في دراسة القصص القرآني إذ قال تعالى: ﴿**نحن نَقُصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ [يوسف: ٣]؛ ما سبق وأعلنه في كتاب «في التذوق الجمالي لسورة يوسف عليه السلام»:

«إنَّ أعلى مراتب البلاغة في التذوق الجمالي للسورة الكريمة هو الوقوف على مضامينها كما يُحَدِّثُ به نَسَقُها القرآني الكريم باللسان العربي المُبين من على هَدْيٍ من أساليب العرب في القول وطرائقهم في البلاغة والفصاحة. وإنَّه من يحاول من أُمَّة محمد ﷺ أن يتذوق السُّورة الكريمة خارج إطار هذه المَظَلَّة الواضحة عربيَّتها، الرائعة دلالاتها، كأن يستهديَ بما ابتدعه القُصَّاص في العُصُور المتأخرة، أو كأن يقارن ذلك بما ورد في الإسرائيليات على طرائقها «الأخيرة» في بَثِّ الروايات الكثيرة المتناقضة في الوقت ذاته يكون ـ في رأي كاتب هذا التذوق ـ كمن أراد الليل على النهار دليلاً، وكمن أراد أن يردَ غير الماءِ العَذْبِ النَّمير السَّلسبيل»[3].

---

= إسماعيل. وهو الأمر الذي شدَّد فيه النكير على الربانيين اليهود المسيح عليه السلام في الفصل ٤٤ من إنجيل برنابا.

(١) الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة محمد خليفة التونسي. ط٣ (بدون دار النشر، القاهرة، ١٩٥١م). ص٨٦-٨٧.

(٢) كتاب العبر ١: ٥٨٠.

(٣) محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسورة يوسف عليه السلام. ط١ (دار البشير ـ =

وكمثل ما أعلنه أيضاً:

«إنَّ الدِّراسة الأسلوبية لأنساق القرآن الكريم لَتَمْنَحُنا مفاتيح في الرؤية تُمَكِّنا كنوزَ التذوق الجمالي، وتقف بنا عند الأبواب التي ليس وراءَها من طائل»[1].

---

= عمان، ١٩٨٥م) ص٢٥.

(١) ذاته: ص٤٣.